النشاط الأثري في المملكة العربية السعودية من القرن الثامن عشر وحتى نهاية القرن العشرين

عبدالرحمن الطيب الأنصاري

ملخّص: يهدف هذا البحث إلى استعراض المراحل التي مر بها النشاط الأثري في المملكة العربية السعودية، مع التركيز على الرحالة الغربيين، الذين بدأوا التجوال في الجزيرة العربية منذ القرن السابع عشر في مناطق مختلفة. وكان جل تركيزهم على المناطق التي لها صلة بالكتب المقدسة لديهم؛ ثم يتناول الرحالة والمؤرخين العرب، الذين جاءوا إلى الجزيرة العربية في نطاق المملكة العربية السعودية في العصر الحديث، وكان للمؤرخين السعوديين دور في هذا المجال. ولذا، تناولت منهم من كانت لهم بصمات في هذا الاتجاه. بعد ذلك جاء دور النشاط الأكاديمي المعتمد على المنهج العلمي في علم الآثار، ممثلاً في جمعية التاريخ والآثار بجامعة الملك سعود، التي أنشئت في الستينات الميلادية، وما قامت به من نشر للوعي الأثري، ومن ثَم إنشاء قسم الآثار والمتاحف في الجامعة نفسها. وقد كان لإنشاء الدولة لإدارة الآثار في وزارة المعارف، والتي تحولت على مدى أربعين عامًا إلى وكالة للآثار والمتاحف، دور مهم في حركة الاهتمام بالآثار من خلال بناء المتاحف الإقليمية، والقيام بأعمال التنقيب، وبرنامج المسح الآثاري الشامل، ولعل إنشاء الهيئة العليا للسياحة سوف يزيد من حركة البحث العلمي والتقدم في هذا الاتجاه إلى الأمام، ما يجعل الاهتمام بالآثار من أولويات البرامج، التي ستأخذ نصيبها من الرعاية والتنشيط والاهتمام.

Abstract. *This paper traces the various stages of Archaeological work in the Kingdom; particular emphasis is given to Western travelers who started wandering through different parts of the Arabian Peninsula since the 17th century and whose main focus was on areas relating to their holly books. The paper then covers the Arab historians and travelers who visited the regions of the now Saudi Arabia of the Arabian Peninsula. Saudi historians have played an important role in this regard, and I have included those who have had distinguished marks. A later stage includes the academic work which depends on scholarly and professional approaches to archaeology. This stage is exemplified by the creation in the 1960s of the Saudi Association of History and Archaeology of King Saud University, which played an important role in promoting archaeological awareness, and by the following establishment of the Department of Archaeology and Museums at the same university. The government's creation of the Administration of Archaeology in the Ministry of Education, which over a period of 40 years became the Deputy Ministry for Antiquities and Museums, crucially advanced archaeological interests: creation of regional museums, promotion of excavation work, and initiation of the comprehensive survey program. The establishment of the Higher Mission of Tourism will certainly enhance and advance scholarly archaeological work since the Mission's programs will provide archaeology with the necessary care, promotion, and livelihood.*

تُعد المملكة العربية السعودية الدولة الأكبر مساحة في الجزيرة العربية، التي كانت أرضها مهدًا لحضارات عديدة منذ العصور الحجرية. ويوجد بأراضي المملكة العديد من المواقع الأثرية التي يعود أقدمها إلى العصر الحجري القديم. ومن أهم الحضارات التي ازدهرت على أرض المملكة:

- حضارة العبيد: ٥٤٠٠ - ٣٦٠٠ ق. م.
- مدين: ١٧٠٠ - ١٠٥٠ ق. م.
- تيماء٢٠٠٠ ق. م. - ٨٠٠ م
- قيدار: القرن السابع - القرن الخامس ق. م.
- ديدان ولحيان: القرن السادس - القرن الثاني ق. م.

(ص ص ٤٥ - ٥٦) ردمد ٨٩٤٧-١٣١٩

- دومة (الجوف): القرن الخامس - القرن الأول ق. م.

- الأنباط: القرن الرابع ق. م - القرن الثالث الميلادي.

- كندة الأولى: القرن الأول ق. م - القرن الرابع الميلادي.

- كندة الثانية: القرن الخامس الميلادي (الأنصاري؛ وأبو الحسن ٢٠٠٢: ٩٨).

هذا إضافة إلى أن أجزاء من جنوب المملكة وشرقها كانت جزءً من حضارة ممالك جنوب الجزيرة العربية، مثل: سبأ، ومعين، وحمير. كما انتشرت الحضارة الهلنستية في شرق الجزيرة العربية خاصة والجهات المختلفة منها، بعد فتوح الإسكندر وسيطرة السلوقيين والبطالمة على منطقة الهلال الخصيب ومصر (٣٢٣-٦٤ ق.م). كما أصبحت منطقة صراع سياسي وديني بين الروم والفرس. وتحتضن المملكة العربية السعودية الأماكن التي أنبلج فيها نور الإسلام، وخرج منها العرب يحملون لواء الدين الجديد إلى جميع بقاع العالم، لينتشر الإسلام واللسان العربي وتبدأ الحضارة العربية الإسلامية، التي يمكن تقسيمها إلى ما يلي:

- صدر الإسلام وعهد الخلفاء الراشدين (١ - ٤٠هـ/ ٦٢٢-٦٦٠م).

- العصر الأموي (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٤٩م)

- العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ/ ٧٤٩-١٢٥٨م).

- العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م).

- العصر العثماني (٩٢٣-١٣١٨هـ/ ١٥١٧-١٩٠٠م).

- العصر السعودي (١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م وحتى الآن).

وقد تركت هذه المراحل التاريخية بصماتها الحضارية في التشكيل المعماري والفني، في أنحاء مختلفة من المملكة العربية السعودية. وفيما يلي سنسلط الضوء على النشاط الأثري في المملكة العربية السعودية، الذي يرتكز بقوة على هذا الإرث الحضاري العريق.

إسهامات الرحالة والمؤرخين الغربيين والعرب:

- الرحالة الغربيون:

تعددت الأسباب التي دفعت الرحالة الغربيين إلى زيارة الجزيرة العربية، فقد بدأت طلائعهم تتوافد منذ حوالي القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، وتفاوتت أهدافهم ما بين السيطرة على أجزاء العالم الإسلامي، أو التحكم في الممرات المائية الحيوية، مثل البحر الأحمر والخليج العربي وبحر العرب، أو التنصير، أو حب المغامرة والاستكشاف. ومن أهم الرحالة الغربيين، الذي كان لهم دور في الاهتمام بآثار الجزيرة العربية وتراثها:

كارستين نيبور C. Niebuhr :

كان عضوًا في بعثة أرسلت من قِبل ملك الدنمارك، وصلت إلى جدة سنة ١١٧٦هـ/ ١٧٦٢م ومكثت فيها حوالي ستة أشهر؛ ثم توجهت جنوبًا إلى اليمن ومنها إلى الهند، وقد مات في تلك الأثناء أربعة من أفراد البعثة؛ لكن نيبور ظل على قيد الحياة وعاد إلى الجزيرة العربية من الهند فزار الأحساء والقطيف، وعاد إلى الدنمارك سنة ١١٨١هـ/ ١٧٦٧م. ويعد نيبور أول رحالة غربي أطلع على كثير من جوانب حضارة الجزيرة العربية وأشار إلى الكتابات والنقوش التي شاهدها أثناء رحلته ووضع خريطة لجنوب الجزيرة العربية، وسجل النتائج التي توصلت إليها البعثة في كتاب بعنوان: وصف الجزيرة العربية (Description of Arabia). وأدت رحلة نيبور إلى دفع الكثير من الرحالة الغربيين، لإجراء المزيد من الرحلات الاستكشافية للجزيرة العربية (بيرين د. ت: ١٤٦-١٥٠؛ بدول ١٩٨٩: ٤٣).

أولريخ جاسبر ستيزن U. J. Setzen :

رحالة ألماني تمكن من مرافقة قافلة الحج القادمة من القاهرة سنة ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م، فزار مكة المكرمة والمدينة المنورة. وفي السنة التالية توجه من جدة إلى الحديدة، وسجل العديد من المواقع الأثرية ومواقع الكتابات والنقوش. وقتل ستيزن أثناء تجواله في اليمن سنة ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م. ويعد أول رحالة غربي نقل الكتابات العربية الجنوبية (المسند) إلى أوروبا (الراشد ١٩٩٩: ١٠).

جون لويس بوركهارت J. L. Burchardat :

رحالة سويسري اعتنق الإسلام وتسمى باسم الشيخ

إبراهيم عبد الله الشامي وصل جدة سنة ١٢٣١هـ١٨١٤/م، وتوجه منها إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف وينبع؛ ثم غادر إلى مصر وظل بها حتى وفاته سنة ١٢٣٤هـ/ ١٨١٧م، ودفن في مقابر المسلمين. وقد سجل مشاهداته في كتابه: رحلات في شبه جزيرة العرب (بوركهارت ١٩٩٢: ١٣-٢٠؛ الراشد ١٩٩٩: ١٠).

ريتشارد بيرتون R. Burton :

رحالة بريطاني زار مصر والحجاز سنة ١٢٦٩هـ١٨٥٣/م، بتكليف من الجمعية الجغرافية الملكية في لندن. ويقول عن الأسباب التي دفعته للزيارة: (... قاصدًا أن أزيل عن الكشوف الحديثة تلك الوصمة التي لحقت بها متمثلة في وجود مساحات واسعة بيضاء في خرائطنا، لا زلنا نشير لها بالمناطق الشرقية والوسطى من شبه جزيرة العرب ...)، ثم يمضي في شرح خطته، التي تقدم بها إلى الجمعية الجغرافية: (... لقد كان الهدف الأول الذي راودني هو عبور الجانب غير المعروف عن شبه الجزيرة العربية في خط مباشر من المدينة المنورة إلى مسقط، أو أعبرها قطريًا بميل من مكة المكرمة إلى المكلا...).

وعندما وصل بيرتون إلى مصر، انتحل اسم عبد الله بن يوسف. وأدعى أنه أفغاني وحصل على أوراق بهذه الصفة من رئيس رواق الأفغان بالأزهر. وسافر بهذه الصفة من السويس إلى ينبع لأداء الحج، ومن ينبع توجه إلى المدينة المنورة. وأثناء وجوده في المدينة تجول في أرجائها، وكتب عن المسجد النبوي الشريف وعن الآثار الإسلامية بالمدينة المنورة؛ ثم توجه مع إحدى القوافل إلى مكة المكرمة في السادس والعشرين من ذي القعدة سنة ١٢٦٩هـ، الموافق ٣١ أغسطس ١٨٥٣م. ووصف بيرتون الطرق التي مر بها من ينبع إلى المدينة المنورة، مرورًا ببير عباس ثم من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة ومنها إلى جدة. كما وصف شعائر الحج التي أداها المسلمون؛ ثم عاد إلى جدة التي تحدث عن طرفٍ من تاريخها وآثارها، وغادرها في أواخر ذي الحجة سنة ١٢٦٩هـ/ سبتمبر ١٨٥٣م. ودوّن بيرتون نتائج رحلته إلى مصر والحجاز في كتاب ترجم إلى اللغة العربية، وصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة تحت عنوان: رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز (بيرتون ١٩٩٤: ١٥-٢٠).

عاد بيرتون إلى الجزيرة العربية مرة أخرى في شهر ربيع الأول سنة ١٢٩٤هـ/ يناير ١٨٧٧م، على رأس بعثة توجهت من السويس إلى أرض مدين شمال غربي المملكة للبحث عن الذهب، وذلك بتمويل من خديوي مصر إسماعيل باشا. ومكثت البعثة بالمنطقة لمدة ثلاثة أسابيع، ولم تعثر خلالها على الذهب. وكان كل ما جمعته مجموعة من عيّنات الأحجار. والشيء المهم هو العثور على مجموعة من النقوش الكتابية. ورجعت البعثة إلى مصر إلا أنها عادت مرة أخرى إلى مدين في ذي الحجة سنة ١٢٩٤هـ/ ديسمبر ١٨٧٧م، ومكثت أربعة أشهر. وعلى الرغم من عدم إحرازها لأي اكتشافات مهمة فيما يتعلق بالذهب، إلا أنها تمكنت من مسح ثمانية عشر موقعًا أثريًا في منطقة مدين (بدول ١٩٨٩: ٦٤-٦٥).

ويليام بلجريف W. Palgrave :

عمل في الجيش البريطاني بالهند، لكنه ما لبث أن انضم إلى جماعة الآباء اليسوعيين وظل في الهند يعمل في مجال التنصير، الذي عمل به، أيضًا، في لبنان؛ ثم كلفه الإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث بالذهاب إلى الجزيرة العربية. فبدأ رحلته من معان في ١٧ ذي الحجة سنة ١٢٨٧هـ/ ١٦ يونيو ١٨٦٢م، وتوجه منها إلى الجوف حيث زار سكاكا ودومة الجندل، ومنها وصل إلى حائل والتقى مع الأمير طلال بن عبد الله بن علي بن رشيد (١٢٦٣-١٢٨٣هـ/ ١٨٤٧- ١٨٦٦م)، ثم واصل رحلته إلى الرياض مرورًا ببريدة.

ووصل بلجريف إلى الرياض في عهد الإمام فيصل بن تركي، وأقام بها خمسين يومًا. وكان قد أدعى أنه طبيب منذ بدء زيارته للجزيرة العربية، ولمّا تبين للأمير عبد الله بن فيصل بن تركي أن الرجل ليس طبيبًا بل جاسوس، أمره بمغادرة الرياض فتوجه شرقًا إلى الهفوف.

استغرقت رحلته في الجزيرة العربية مدة عام، وأصدر عنها كتابًا في سنة ١٨٦٥م بعنوان: "مذكرات رحلة سنة كاملة في وسط الجزيرة العربية وشرقها". وقد تضمن كتابه وصفًا لآثار المدن التي مر عليها، مثل: دومة الجندل، وسكاكا، وحائل، وبريدة، والرياض (بدول ١٩٨٩: ٦٧-٧٦؛ الأنصاري ١٩٩٩: ١/٩١؛ البرخت ١٩٩٩: ٨٥-١٠٠). ووضع بلجريف خرائط

لبعض المدن التي زارها وهي: الرياض، وحائل، والهفوف.

جوزيف هاليفي J. Halevy :

أول رحالة أوروبي يصل إلى نجران سنة ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م، عندما أوفدته وزارة المعارف الفرنسية بعد أن قررت الأكاديمية الفرنسية للنصوص والآداب في باريس سنة ١٨٦٩م إصدار موسوعة للنقوش السامية. وتمكّن هاليفي من جمع ما يقارب ٦٨٦ نقشًا كتابيًا من منطقة جنوبي الجزيرة العربية، وسجل بعض الملاحظات عن مدينة نجران القديمة (الأخدود)، ونشر مقالاً عن رحلته إلى نجران سنة ١٨٧٧م.

لويس بلي L. Pelly :

كان لويس بلي يشغل منصب المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي، ومقر إقامته في بوشهر بإيران. وفي سنة ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م أوفدته الحكومة البريطانية إلى الرياض لمقابلة الإمام فيصل بن تركي. وبعد عودته إلى مقر المقيمة البريطانية في بوشهر، سجل بلي أحداث رحلته في مذكرة مؤرخة في ١٥ مايو ١٨٦٦م موجهة إلى وزير الدولة البريطاني في بومباي.

لم يتوقف بلي عند حدود المهمة السياسية التي أرسل من أجلها إلى الرياض، بل جمع معلومات متصلة بآثار المملكة وتاريخها. وكان قد كلف بعض مرافقيه منذ انطلاقته من الكويت، مثل الضابط ديوز (Dawes)، والطبيب كولفيل (Colvill) بتسجيل الملاحظات الفلكية وجمع النباتات والصخور لدراستها فيما بعد. وقد أضاف بلي إلى التقرير الذي أعده بعد انتهاء رحلته عدة ملاحق، منها:

- خريطة لمسار الرحلة، أعدها أحد المختصين في الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية.
- قائمة بالعينات الجيولوجية التي جمعت خلال الرحلة، وأُرسلت إلى مدرسة الجيولوجيا التطبيقية بلندن لدراستها.
- قائمة بالنباتات التي جمعت أثناء الرحلة.
- مخطط للطريق الذي سلكه أثناء توجهه من الكويت إلى الرياض، مرورًا بسدوس.
- مخطط للطريق الذي سلكه عند عودته من الرياض إلى العقير عبر الأحساء.
- تقرير عن أسماء مناطق نجد وقبائلها (بلي ١٩٩١: ٥، ٢١-٢٢).

وكان بلي قد مر بسدوس في طريقه إلى الرياض، ووصف الأنقاض الأثرية الموجودة بها، وتحدث عن العمود الذي يعتقد أنه من علامات الطرق، وكان لا يزال موجودًا أثناء زيارة بلي، الذي كلف الضابط ديوز رسم مخطط له. ويعد هذا المخطط هو الرسم الوحيد لهذا العمود الذي اندثر الآن. وقد وصف بلي عمود سدوس بقوله: (... وينتصب على تلك الأنقاض عمود رائع من الحجر المنحوت. لقد كان رأسه مكسورًا ولكن أسطوانة العمود نفسه ما زالت ترتفع إلى حوالي عشرين قدمًا. وكانت الكتل الحجرية مستديرة حيث كانت كل كتله متناسقة في الحجم ... وفي الوقت الحاضر فإن أساس العمود مهدد بالانهيار...) (بلي ١٩٩١: ٦٥-٦٦).

تشارلز داوتي C. M. Doughty :

رحالة إنجليزي تمكن من مرافقة إحدى قوافل الحج القادمة من الشام سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م. ووصل إلى مدائن صالح (الحجر) متنكرًا تحت اسم خليل، وهناك علم قائد القافلة بأنه مسيحي فأبقاه في مدائن صالح بحراسة المسئول عن القلعة الموجودة بها؛ ولكنه تمكن فيما بعد من التجوال في أنحاء شمال غربي الجزيرة العربية، فزار إضافة إلى مدائن صالح، العلا، وتيماء، وحائل، وخيبر، وجمع أثناء رحلته العديد من النقوش الكتابية، منها ثلاثون نقشًا لحيانيًا من العلا، والكثير من النقوش النبطية من مدائن صالح، وسجلت نتائج رحلة داوتي في كتابه: (Travel in Arabia Deserta). وقد فتحت زيارته والنقوش التي نقلها من العلا ومدائن صالح الطريق أمام المهتمين من الغربيين لدراسة حضارات الجزيرة العربية. وكان أول غربي في العصر الحديث تطأ قدمه العاصمة الثانية لمملكة الأنباط مدائن صالح (الحجر) (الأنصاري وأبو الحسن ٢٠٠٢: ٤٠-٦٩).

تشارلز هوبر C. Huber ويوليوس أويتنج J. Euting :

الأول فرنسي والآخر ألماني. زار الأول الجزيرة العربية سنة

١٢٩٩-١٣٠٠هـ/ ١٨٨١-١٨٨٢م، ونشر بعد عودته إلى فرنسا أكثر من ستة عشر نقشًا لحيانيًا من العلا، في مجلة الجمعية الجغرافية الفرنسية بباريس سنة ١٨٨٤م. وفي السنة نفسها أوفدته أكاديمية النقوش والفنون الجميلة في باريس بصحبة أويتنج لزيارة الجزيرة العربية، فزارا مدن شمال غربي المملكة مثل: دومة الجندل، وحائل، وتيماء، والعلا، ومدائن صالح. وانتهت الرحلة بمقتل هوبر سنة ١٨٨٤م، وعودة أويتنج إلى بلاده. وكان اكتشاف مسلة تيماء من أهم نتائج تلك الرحلة، وهي المسلة التي نقلت إلى فرنسا ولا تزال محفوظة في متحف اللوفر. كما نسخ كل من هوبر وأويتنج الكثير من النقوش الكتابية. وقد نشرت نتائج رحلتهما في كتاب أويتنج: رحلة داخل الجزيرة العربية. أما هوبر فنُشرت نتائج رحلته في: (Journal du Voyage en Arabie) أويتنج ١٩٩٩: ١٦١-١٦٢؛ الأنصاري وأبو الحسن ٢٠٠٢: ٤٠، ٦٩).

جوسين وسافينياك A. Jaussen, R. Savignac:

رحالان فرنسيان زارا شمال المملكة ثلاث مرات ما بين سنتي ١٣٢٥- ١٣٢٨هـ/ ١٩٠٧-١٩١٠م. في الزيارة الأولى وصلا بقطار سكة حديد الحجاز إلى مدائن صالح (الحجر) سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م، ولم يتمكنا من زيارة العلا إلا في الزيارة الثانية سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م. وفي السنة التالية زارا العلا ومدائن صالح (الحجر) ، وشملت زيارتهما تيماء وتبوك. واستطاع جوسين وسافينياك نسخ العديد من النقوش الكتابية اللحيانية، والمعينية، والنبطية، ونقوش خط البادية، إضافة إلى نقوش كوفية، ولاتينية، ويونانية، وكشفا في العلا عن الحوض الحجري المعروف باسم محلب الناقة، وقاما بإعداد أول خريطة للبلدة القديمة بالعلا. ويعد جوسين وسافينياك الرائدين الحقيقيين لدراسة نقوش شمالي الجزيرة العربية، ونشرت نتائج رحلتهما في كتاب: بعثة أثرية في الجزيرة العربية (Mission Archeoloque en Arabie) (الأنصاري وأبو الحسن ٢٠٠٢: ٧١).

فيلبي St. J. Philby :

كان هاري سنت جون فيلبي يعمل لدى المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي. وأوفدته الحكومة البريطانية إلى الملك عبد العزيز آل سعود، ولكنه ما لبث أن استقر عنده وعمل لديه مستشارًا، ثم أسلم وعُرف باسم عبد الله فيلبي. وقد أتاح له قربه من الملك عبد العزيز التحرك بحرية تامة في كافة أنحاء المملكة، وكان له دور كبير في الاهتمام بآثار المملكة، إذ كان ينسخ الكثير من النقوش الكتابية ويُرسلها إلى الآثاري البلجيكي فاندن براندن، الذي كان مقيمًا - آنذاك - في لبنان، لقراءتها ونشرها. كما قاد فيلبي بعثة أثرية لاستكشاف بعض المواقع الأثرية. وبدأت البعثة رحلتها سنة ١٣٧١هـ١٩٥١/م من جدة إلى الطائف، وسلكت طريقها إلى بيشة ثم أبها فنجران ومنها إلى الرياض مرورًا بالفاو. وكان يرافق فيلبي كل من: فيليب ليبنز (P. Lippens)، وكونزاك ريكمانز (G. Rych-mans)، وجاك ريكمانز (J. Rychmans) والثلاثة من بلجيكا. واستطاعت هذه البعثة نسخ العديد من النقوش الكتابية في نجران، وآبار حما شمال نجران، وقرية الفاو. ولم يتوقف نشاط فيلبي على الاهتمام بدراسة تاريخ المملكة عند هذا الحد، إذ حاول وضع تسلسل تاريخي لممالك جنوبي الجزيرة العربية، وشارك بقائمة من قوائم الأسر المالكة لا تزال تعرف حتى اليوم بقائمة فيلبي (ليبنز ١٩٩٩: ٢٥؛ الأنصاري ٢٠٠١: ٢٠-٢١).

كارل توتشل K. Twitchel:

وممن اهتموا بالنشاط الأثري في المملكة من الغربيين، الباحث الأمريكي كارل توتشل، الذي استقدمته الحكومة السعودية سنة ١٣٥٠هـ١٩٣١/م للقيام بمسح جيولوجي، وإعداد أبحاث عن المياه الجوفية. فزار أغلب مناطق المملكة، وخصص الفصل الثامن من كتابه: "البلاد العربية السعودية" للآثار والتراث العمراني. وقد ترجم هذا الفصل إلى اللغة العربية ونشر بمجلة المنهل. وقد حدد توتشل بعض المواقع الأثرية التي وقف عليها أثناء رحلاته في ينبع، والوجه، والعلا، ومدائن صالح (الحجر)، والطائف، ونجران. كما أشار إلى الاهتمام الذي بدأ المسئولون في الدولة يولونه للآثار، فقال عن أمير نجران تركي بن ماضي، الذي تولى إمارتها في الفترة ما بين سنتي ١٣٥٧-١٣٧١هـ/ ١٩٣٨-١٩٥٢م: (... وأمير هذه المقاطعة تركي بن ماضي من الأمراء الذين يدركون أهمية الآثار، فلا يسمح لأحد بالتعدي عليها بالحفر والنبش ...) (توتشل ١٩٥٠: ١٢٤).

إلى جانب جهود الرحالة الغربيين، فهناك بعض الجهات

الغربية التي كان لها دور في النشاط الأثري بالمملكة، ومنها شركة أرامكو التي أوفدت العديد من الباحثين لعمل مسح أثري للمنطقة الشرقية والربع الخالي ضمن قيامها بالتنقيب عن البترول. وعن طريق أرامكو قام الآثاري هنري فيلد (H. Field) بمسح أثري شامل للمنطقة الشرقية والربع الخالي، ووضع خريطة للمواقع الأثرية في الجزيرة العربية. وكانت رحلاته إلى المملكة خلال السنوات ١٣٤٤هـ١٩٢٥/م، و١٣٤٦هـ١٩٢٧/م، و١٣٥٣هـ١٩٣٤/م، و١٣٧١هـ١٩٥٠/م، ١٣٨٩هـ١٩٦٩/م. وأصدر هنري فيلد العديد من المؤلفات عن آثار المملكة، منها على سبيل المثال:

Ancient and Modern Man in South-west Arabia, 1956, 1961.

Desert Archaeological Survey 1925 - 1950, 1969.

وفي سنة ١٣٧٥هـ١٩٥٥/م وضع ماكلير (McClur) خريطة ثانية للمواقع الأثرية بالجزيرة العربية. وجاء بعد ذلك فيدال، الذي أجرى أول حفرية أثرية في جاوان بالقرب من الظهران، وكشف عن مقبرة تعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد. وعلى الرغم من هذه الإنجازات التي تحققت بفضل شركة أرامكو، إلا أن الأثر السيئ للشركة تمثل في عبث الشركة وعمالها بالمواقع الأثرية وتغيير معالمها التاريخية. وكذلك تنقيب عدد من منسوبي الشركة عن الآثار ونقلهم الكثير من القطع الأثرية إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث ما زالت تعرض هناك (الأنصاري ٢٠٠١: ٢٠-٢١).

ومن البعثات الأجنبية التي زارت المملكة بعثة جامعة تورنتو سنة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م، وكان على رأسها عالم الكتابات العربية القديمة فريدرك وينت (F. Winnett) وهو كندي، والآثاري الأمريكي وليام ريد (W. Reed.) وقامت هذه البعثة بمسح أثري شامل لمنطقة شمال غربي المملكة، جمعت العديد من الملتقطات السطحية خاصة الفخار، سجلت العديد من النقوش الكتابية. ودونت النتائج التي توصلت إليها هذه البعثة في كتاب: (Ancient Records from North Arabia) (الراشد ١٩٩٩: ٢٣-٢٤؛ الأنصاري وأبو الحسن ٢٠٠٢: ٧١). وفي سنة ١٣٨٧هـ١٩٦٧/م زار وينت منطقة حائل وأجرى مسحًا أثريًا للكتابات والنقوش بالمنطقة، نشرت نتائجه في كتاب: (An Archaeological Epigraphical Survey of the Hail Area of Northern Saudi Arabia.).

وفي سنة ١٣٨٨هـ١٩٦٨/م قامت البعثة الدنماركية برئاسة كل من: ت. ج بيبي (T. G. Bibby)، وهولجر كابل (H. Kapel)، بتمويل من جمعية جوتلاند للآثار (Jutland Archaeological Society)، بمسح أثري شامل لشرقي الجزيرة العربية. وقد نشرت نتائج هذا المسح في المؤلف الذي أصدره بيبي (T. G. Bibby) بعنوان: (Preliminary Survey in Eastern Arabia, Copenhagen 1968).

كما جاءت بعثة معهد الآثار بجامعة لندن في سنة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، وكانت تضم كل من: بيتر بار (P. Parr)، وجون ديتون (J. Dayton)، ولانكستر هاردنج (L. Harding.) وزارت هذه البعثة، أيضاً، المواقع الأثرية في شمال غربي المملكة (الراشد ١٩٩٩: ٢٣-٢٤؛ الأنصاري وأبو الحسن ٢٠٠٢: ٧١). وفي السنة نفسها زارت الآثارية الألمانية روث شتيل (R. Stiel) العلا ومدائن صالح (الحجر)، بمساعدة من وزارة البترول والثروة المعدنية. وتعد شتيل أول غربية تصل إلى وادي عكمة الواقع إلى الشمال من العلا والمليء بالنقوش الكتابية اللحيانية. ونشرت شتيل أربعين نقشًا من نقوش جبل عكمة في بحثها: (Neue Lihyanische Inschirften Aus Al'Udaib) (أبو الحسن ١٩٩٧: ٢٧؛ الأنصاري ٢٠٠١: ٢١).

وأخيرًا قام المعهد الجغرافي الفرنسي بالتعاون مع إدارة الآثار والمتاحف، بإجراء ترقيم للمقابر النبطية بمدائن صالح (الحجر) سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م (الأنصاري وأبو الحسن ٢٠٠٢: ٧١).

الرحالة والمؤرخون العرب:

حفلت العصور الإسلامية بعدد من الرحالة من بلاد الشام وما وراءها، ومصر والمغرب العربي، وبلاد الأندلس؛ ولكننا هنا سوف نقتصر على الرحالة في العصر الحديث.

لم تكن زيارات الرحالة والمؤرخين العرب تقترب في أسبابها أو أهدافها، من تلك التي سعى وراءها الرحالة الغربيون. فقد جاء الرحالة والمؤرخون العرب إلى الجزيرة العربية في العصر الحديث إما لأداء فريضة الحج، أو مبعوثين من قبل بلادهم، أو للالتقاء بالملك عبد العزيز آل سعود أو العمل لديه. وقد تركز اهتمامهم في الغالب بمنطقة الحجاز، وبصفة خاصة الحرمين الشريفين وآثار مكة المكرمة

والمدينة المنورة. وسنشير فيما يلي إلى بعض أولئك الرحالة والمؤرخين.

محمد صادق:

قدم محمد صادق إلى الحجاز للمرة الأولى سنة ١٢٧٧هـ١٨٦٠/م، مرافقاً لوالي مصر سعيد باشا أثناء زيارته للمدينة المنورة. وكانت زيارته الثانية سنة ١٢٩٧هـ١٨٨٠/م، مع المحمل المصري القادم عن طريق البر. أما زيارته الثالثة، فكانت مع المحمل المصري، أيضاً، ولكنها تمت عن طريق البحر سنة ١٣٠٢هـ١٨٨٥/م. وقد جمع محمد صادق مشاهداته في كتابه: "دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج". وصدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة ١٣١٣هـ/ ١٨٩٦م. وقد سجل فيه وصفًا دقيقًا لطريق الحج المصري. ويذكر صادق في هذا الصدد (... شارحًا سير المحمل من يوم خروجه من مصر المحروسة إلى وصوله إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة وعودته إليها، مع رسم خريطة الطريق وبيان المسافة بين المحطات بالضبط وذكر نوع أرضها وصلاحيتها... ورسم مسطح للحرمين الشريفين المكي والمدني ...). ويعد محمد صادق أول من التقط صورًا فوتوغرافية للحرمين الشريفين أثناء زيارته الثانية سنة ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م (صادق ١٨٩٦: ٢-٣).

إبراهيم رفعت:

تولى رئاسة المحمل المصري إبان السنوات ١٣١٨هـ١٩٠١/م، و ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٣م، و١٣٢١هـ١٩٠٨/م. وخلال زياراته الأربع سجل مشاهداته عن طرق الحج وآثار مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وجدة، كما سجل وصفًا دقيقًا للمسجد الحرام والمسجد النبوي والمشاعر المقدسة، إضافة إلى الصور الفوتوغرافية التي صورها بنفسه. ووضع كل المعلومات التي توصل إليها في كتابه الشهير: "مرآة الحرمين"، الذي صدرت طبعته الأولى سنة ١٣٤٤هـ١٩٢٥/م (الراشد ١٩٩٩: ١٤).

محمد لبيب البتنوني:

قَدِم لأداء فريضة الحج في معية خديوي مصر عباس حلمي الثاني، في ذي الحجة سنة ١٣٢٧هـ/ ديسمبر ١٩٠٩م عن طريق البحر، وعاد إلى مصر من المدينة المنورة عن طريق سكة حديد الحجاز. وسجل البتنوني مشاهداته في كتابه: "الرحلة الحجازية"، الذي قدم فيه وصفًا للطرق البرية التي مر بها، والمواقع الأثرية في مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة (الراشد ١٩٩٩: ١٥-١٦).

محمد حسين هيكل:

زار الحجاز لأداء فريضة الحج سنة ١٣٥٥هـ١٩٣٦/م، ووقف على العديد من المعالم والمواقع الأثرية الإسلامية في مكة المكرمة والمدينة المنورة. وقد أوحت له هذه الزيارة بتأليف كتابه: "في منزل الوحي" (الراشد ١٩٩٩: ١٦-١٧؛ الأنصاري ٢٠٠١: ٢٠).

إلى جانب هؤلاء، يجب ألاّ ننسى جهود كل من: الأمير شكيب أرسلان، وكتابه: "الارتسامات اللطاف"، وخير الدين الزركلي، وكتابه: "ما رأيت وما سمعت"، ورشدي ملحس، الذي حقق كتب التراث، ومن أهمها كتاب: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار لمحمد بن عبد الله الأزرقي (الراشد ١٩٩٩: ١٦؛ الأنصاري ٢٠٠١: ٢٠).

المؤرخون السعوديون:

من المؤرخين السعوديين، الذين كان لهم دور بارز في التعريف بآثار المملكة وحضارتها:

محمد بن عبد الله بن بليهد (١٣١٠-١٣٧٧هـ١٨٩٢/-١٩٥٧م):

أديب وشاعر، حقق كتاب "صفة جزيرة العرب" للهمداني، ووضع كتابًا مهماً عن آثار الجزيرة العربية استقى مادته من الشعر، وهو كتاب: "صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار" (الراشد ١٩٩٩: ١٨).

عبد القدوس الأنصاري (١٣٢٤-١٤٠٣هـ١٩٠٦/-١٩٨٣م):

مؤرخ وأديب يعد بحق رائد علم الآثار في المملكة، منذ أن أصدر كتابه: "آثار المدينة المنورة" سنة ١٣٥٣هـ١٩٣٥/م، ومنذ ذلك الوقت تواصلت أبحاثه ومؤلفاته في الآثار، ومنها على سبيل المثال:

- تحقيق أمكنة الحجاز وتهامة ١٣٧٩هـ١٩٥٩/م.
- موسوعة تاريخ مدينة جدة ١٣٨٣هـ١٩٦٣/م.
- بين التاريخ والآثار ١٣٨٩هـ١٩٦٩/م.

- طريق الهجرة النبوية ١٣٩٨هـ-١٩٧٨/م.

- التاريخ المفصل للكعبة قبل الإسلام ١٤٠٣هـ-١٩٨٣/م.

وكان عبد القدوس الأنصاري أصدر مجلة المنهل سنة ١٣٥٥هـ-١٩٣٧/م، وبها نشر العديد من المقالات والتحقيقات عن آثار المملكة، التي زار العديد من مواقعها (الأنصاري ٢٠٠١: ٢١).

حمد الجاسر (١٣٢٨-١٤٢١هـ/١٩١٠-٢٠٠٠م):

جغرافي وأديب اهتم كثيرًا بتحقيق كتب التراث، وكانت له رحلات عدة إلى مختلف أنحاء المملكة. ومن أهم مؤلفاته وتحقيقاته فيما يتعلق بآثار المملكة:

- مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ١٣٨٦هـ-١٩٦٦/م.

- رسائل في تاريخ المدينة المنورة ١٣٩٢هـ-١٩٧٢/م.

- المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ١٣٩٧هـ-١٩٧٧/م.

- في شمال غرب المملكة ١٤٠١هـ-١٩٨١/م.

وأصدر حمد الجاسر في رجب سنة ١٣٨٦هـ/ أكتوبر ١٩٦٦م مجلة العرب، التي أولت عناية خاصة لآثار المملكة.

محمد أحمد العقيلي (١٣٢٦-١٤٢٣هـ/١٩٠٨-٢٠٠٢م):

أديب ومحقق تركزت أغلب أعماله على آثار منطقة جازان، ومن أهم مؤلفاته عنها: "المخلاف السليماني"، الذي صدر في ثلاثة أجزاء (١٣٧٨-١٣٨١هـ/ ١٩٥٨-١٩٦١م)، و"المعجم الجغرافي لمنطقة جازان" ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، و"الآثار التاريخية لمنطقة جازان" ١٤٠٠هـ-١٩٨٠/م (الراشد ١٩٩٩: ٢٠).

جمعية التاريخ والآثار:

كانت عودة عبد الرحمن الطيب الأنصاري في رجب سنة ١٣٨٦هـ/ يوليو ١٩٦٦م إلى المملكة، بعد حصوله على درجة الدكتوراه في الكتابات القديمة من جامعة ليدز بالمملكة المتحدة، بداية الانطلاقة الحقيقية لدراسة الآثار في المملكة؛ فما لبث أن التحق بقسم التاريخ بكلية الآداب جامعة الملك سعود، وقام بالخطوة الأولى في تأسيس الدراسات الآثارية بالمملكة بإنشاء جمعية التاريخ والآثار في كلية الآداب سنة ١٣٨٧هـ-١٩٦٧/م؛ التي كان من أهدافها:

- بث التوعية التاريخية الأثرية بين الطلاب.

- نشر الثقافة التاريخية الأثرية على مستوى عام.

- دراسة وبحث تاريخ الجزيرة العربية وتراثها.

- تشجيع البحث التاريخي والأثري في الجزيرة العربية.

- تشجيع التعرف على المدن والمواقع التاريخية والأثرية (الأنصاري ١٩٩٢: ٢).

ونظمت الجمعية الرحلات العلمية إلى عدة مناطق بالمملكة، ومن أهم رحلاتها تلك الرحلة التي اشترك فيها ما يربو على أربعين أستاذًا وطالبًا، واستمرت لمدة ثلاثة أسابيع سنة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، وتوجهت من الرياض إلى القصيم، وحائل، والحائط، والحويط، وخيبر، والعلا، ومدائن صالح، وتيماء، والمدينة المنورة. وجمع أثناء تلك الرحلة الكثير من القطع الأثرية، التي شكلت نواة متحف جامعة الملك سعود الذي أُفتتح في سنة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م (الأنصاري ١٩٩٢: ٣-٤).

ولم تتوقف جهود عبد الرحمن الطيب الأنصاري عند هذا الحد، فما لبث أن وقع اختياره على "قرية" الفاو لتكون أول مكان يبدأ فيه التنقيب عن الآثار، وحصل على إذن بالتنقيب من وزارة المعارف باسم جمعية التاريخ والآثار، التي كان يتولى رئاستها في ذلك الوقت. وهكذا بدأ الموسم الأول للتنقيب عن الآثار في الفاو، واستطاعت الجمعية إقامة المعرض الأول لآثار الفاو سنة ١٣٩٢هـ-١٩٧٢/م (الأنصاري ١٩٩٢: ٤-٥). واستمر الأنصاري في التنقيب في قرية الفاو (قرية ذات كهل) إلى سنة ١٤١٤هـ (١٩٩٥م).

قسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود:

أما الخطوة الثانية في تأسيس الدراسات الآثارية بالمملكة، فتمثلت في تدريس الآثار في قسم التاريخ بكلية الآداب سنة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، وتخريج أول دفعة من دارسي الآثار سنة ١٣٩٥هـ-١٩٧٥/م. وأعقب ذلك افتتاح أول قسم للآثار والمتاحف في المملكة، بل في الجزيرة العربية، سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م (الأنصاري ١٩٩٢: ٥-٦)، وأصبح القسم منذ ذلك الوقت يمنح درجة البكالوريوس في تخصصين، هما: الآثار القديمة، والآثار

الإسلامية؛ لذا لم يكتف القسم بالتنقيب في "قرية" الفاو فقط، التي تم توجيه طلاب الآثار القديمة نحوها، بل بدأ منذ سنة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م التنقيب في موقع الربذة، الواقع شرقي المدينة المنورة لطلاب الآثار الإسلامية، بعد عودة سعد بن عبد العزيز الراشد من بريطانيا، حاصلاً على درجة الدكتوراه في الآثار الإسلامية من جامعة ليدز بالمملكة المتحدة. وكان اختيار موقع الربذة عن طريق سعد بن عبد العزيز الراشد لكونه أحد أهم المواقع الإسلامية على طريق الحج القادم من الكوفة إلى مكة المكرمة (درب زبيدة) (الراشد ١٩٩٩: ٣٠)، ومنذ سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، بدأ القسم في منح درجة الماجستير. أما برنامج درجة الدكتوراه فقد بدأ في سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م (الأنصاري ٢٠٠١: ٢٣).

وإلى جانب حفريتي الفاو والربذة، أسهم قسم الآثار والمتاحف في المسح الإثنوغرافي لمنطقة عسير بالاشتراك مع البعثة النمساوية سنتي ١٣٩٩هـ - ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩-١٩٨٠م. وكانت تلك الخطوة بداية اهتمام القسم بدارسة التراث الشعبي. وكذلك علينا أن لا نغفل الأعمال الميدانية، التي قام بها الدارسون بغرض جمع المادة العلمية لإطروحاتهم، للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراه، وما كشفته من جوانب خفية من التاريخ الحضاري للمملكة. كما أصدر القسم عدة كتب وأبحاث تأتي في مقدمتها مشاركته في إصدار خمسة مجلدات عن تاريخ الجزيرة العربية وآثارها، وهي تمثل مداولات الندوة العالمية لتاريخ الجزيرة العربية، التي اشترك القسم في إعدادها مع قسم التاريخ. وقد انعقدت الندوة الأولى قبل إنشاء القسم سنة ١٣٩٧هـ١٩٧٧/م.، والثانية سنة ١٣٩٩هـ١٩٧٩/م، والثالثة سنة ١٤٠٤هـ١٩٨٤/م. ومن إصدارات القسم، أيضًا، موسوعة المصطلحات الأثرية للأستاذ كمال صدقي. وقد شارك العديد من علماء الآثار العرب من أقطار مختلفة في التدريس بالقسم، الذي استفاد من تجاربهم البحثية والميدانية.

ويجدر بنا في هذا المجال التنويه بالحفريات والأبحاث، التي قام بها عبد الله حسن مصري أثناء إعداد أطروحته للحصول على درجة الدكتوراه، التي نشرت سنة ١٣٩٤هـ١٩٧٤/م بعنوان: "عصر ما قبل التاريخ في شمال شرق الجزيرة العربية: إشكالية التدخل الإقليمي". وقد توصل من خلالها إلى نتائج جديدة فيما يخص حضارة العبيد في المملكة والعلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية وبلاد الرافدين. كما أجرى سعد بن عبد العزيز الراشد مسحًا أثريًا عند إعداد أطروحته للحصول على درجة الدكتوراه، عن طريق الحج القادم من الكوفة إلى مكة المكرمة (درب زبيدة). ونشرت هذه الأطروحة باللغة الإنجليزية سنة ١٤٠٠هـ١٩٨٠/م، وباللغة العربية سنة ١٤١٤هـ١٩٩٣/م.

إنشاء إدارة الآثار:

صدر قرار مجلس الوزراء رقم ٧٢٧ في ذي القعدة سنة ١٣٨٣هـ/ مارس ١٩٦٣م، بالموافقة على إنشاء إدارة للآثار مرتبطة بوزارة المعارف. وجاء في حيثيات القرار:

(... لما في ذلك من أهمية بالنسبة للآثار كتراث قومي خالد ومنهل من مناهل العلم والمعرفة وصلة بين الماضي والحاضر ومصدر من مصادر تاريخنا وحضارتنا ومورد من موارد الاقتصاد الوطني بجانب أنها متطلب من متطلبات مواكبة ركب الحضارة وعجلة التقدم ومساير لبقية دول العالم التي أوجدت في أجهزتها دوائر خاصة بالآثار...) (الراشد ١٩٩٩: ٢٤).

وفي الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، صدر نظام الآثار بموجب المرسوم الملكي رقم م٢٦/ ، وكان يهدف إلى المحافظة على الآثار، والحد من الاتجار بها أو تصديرها إلى خارج المملكة، أو التنقيب عنها بطرق غير شرعية. وتضمن النظام إنشاء المجلس الأعلى للآثار برئاسة وزير المعارف (الراشد ١٩٩٩: ٢٥-٢٧). وعقب صدور نظام الآثار، تسلم إدارة الآثار والمتاحف عبد الله حسن مصري (١٣٩٣-١٤١٤هـ/ ١٩٧٣-١٩٩٤م)، وبدأ النشاط الأثري بإجراء المسح الأثري الشامل لآثار المملكة، وإصدار حولية الآثار العربية السعودية "أطلال"، ثم تطورت الإدارة فيما بعد وأصبحت وكالة مساعدة بموجب قرار وزير المعارف رقم ٤٤٨٠/٨ وتاريخ ١٢/١١/١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ورُبطت مباشرة بوزير المعارف بموجب قراره رقم ٨٩٣ في ٨/٥/١٤١٨هـ١٩٩٨/م ويتولى منصب وكيل وزارة المعارف للآثار والمتاحف سعد بن عبد العزيز الراشد الذي تولى إدارة الآثار والمتاحف منذ ١٤١٧هـ١٩٩٦/م (الأنصاري ٢٠٠١: ٢٣؛ المغنم ٢٠٠٢: ١٨٥-١٨٧). وقد أحيل إلى التقاعد عام ١٤٢٧هـ

(٢٠٠٦م).

المسح الأثري الشامل:

بدأت أعمال المسح الأثري في المملكة على نطاق محدود منذ سنة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، فقد أُجري مسح أثري في العلا، مدائن صالح (الحجر)، وتيماء. واكتُشف خلال ذلك المسح عدد من المواقع الأثرية، التي تعود لحضارات الجزيرة العربية قبل الإسلام إضافة إلى اكتشاف بعض المواقع الإسلامية. وفي سنة ١٣٨٥هـ١٩٦٥/م سُجلت مواقع النقوش والكتابات في آبار حما بنجران، وعرعر. وفي سنة ١٣٨٨هـ١٩٦٦/م تم إجراء مسح أثري للمنطقة الشرقية، أسفر عن اكتشاف أكثر من عشرين موقعًا أثريًا تعود لعصور تاريخية مختلفة (الراشد ١٩٩٩: ٣١-٣٢).

ثم كانت بداية المسح الأثري الشامل في سنة ١٣٩٦هـ١٩٧٦/م، واستمر حتى سنة ١٤٠٠هـ١٩٨٠/م، إذ استعانت إدارة الآثار والمتاحف بالجامعات الألمانية، والأمريكية، والبريطانية، والكندية، التي لها خبرة في الدراسات الآثارية. وبدأ مشروع المسح الأثري الشامل، الذي تركز على ما يلي:

- طرق التجارة والحج.
- النقوش والرسوم والكتابات على الصخور.
- مناطق التعدين القديمة.
- السدود القديمة.
- الموانئ القديمة على البحر الأحمر والخليج العربي.
- المدن القديمة (الراشد ١٩٩٩: ٣١-٣٢).

وتمثلت نتائج المسح الأثري الشامل في حصر ما يزيد على أربعة آلاف موقع أثري، ترجع إلى عصور مختلفة؛ تبدأ بعصور ما قبل التاريخ، مرورًا بعصور ما قبل الإسلام، حتى العصر الإسلامي بفتراته المختلفة. وشكّل المسح الأثري الشامل القاعدة، التي أسست عليها إدارة الآثار والمتاحف أنشطتها ومشاريعها في مجالات التنقيب عن الآثار وترميمها وحفظها وحمايتها. وقد نُشرت نتائج المسح الأثري الشامل في حولية الآثار العربية السعودية "أطلال"، التي صدر العدد الأول منها سنة ١٣٩٧هـ١٩٧٧/م، متضمناً تقارير مبدئية عن المرحلة الأولى من برنامج المسح الأثري الشامل، الذي بدأ بالمنطقتين الشرقية والشمالية من المملكة، وتقرير مبدئي عن المرحلة الأولى لمسح طريق الحج العراقي (درب زبيدة).

إلى جانب المسح الأثري الشامل، أجرت إدارة الآثار العديد من التنقيبات الأثرية في مختلف المواقع الأثرية، من أجل وضع خطة علمية للتنقيب عن الآثار، وتوفير مواد أولية للبحث في تاريخ المملكة، من خلال المكتشفات الأثرية، إلى جانب زيادة حصيلة المتاحف من التحف والمعروضات. ومن أهم الحفريات، التي أجريت في المملكة:

- الثمامة والدوادمي بمنطقة الرياض.
- الظهران، وثاج، والعقير، والجبيل، ورأس الزور بالمنطقة الشرقية.
- الصناعية، وقصر الحمراء، والبجيدي بتيماء.
- درب زبيدة بالقصيم.
- المابيات بالعلا.
- مدائن صالح (الحجر).
- سهي وعثر بجازان.
- الأخدود بنجران (مصري ١٩٨٧: ٣٧-٣٩؛ الراشد ١٩٩٩: ٣٣-٣٤).

دور المتاحف في النشاط الأثري:

في المحرم من سنة ١٣٩٨هـ/ ديسمبر ١٩٧٧م، أفتُتح متحف الآثار والتراث الشعبي بالرياض. ومنذ سنة ١٤٠١هـ١٩٨١/م بدأت إدارة الآثار والمتاحف التخطيط لإنشاء المتحف الوطني بالرياض. وفي سنة ١٤١٨هـ١٩٩٨/م صدر أمر ملكي بتنفيذ مشروع المتحف الوطني ضمن مركز الملك عبد العزيز التاريخي، وأفتُتح في الخامس من شوال سنة ١٤١٩هـ/ ٢٢ يناير ١٩٩٩م ضمن الاحتفال بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية. ويتكون المتحف الوطني من ثماني قاعات هي: الإنسان الكون، والممالك العربية، والجزيرة العربية قبل الإسلام، والبعثة النوبية، والإسلام والجزيرة

العربية، والدولة السعودية الأولى الثانية، وتوحيد المملكة، والحج والحرمين الشريفين (المغنم ٢٠٠٢: ١٩٤-١٩٨).

وإضافة إلى المتحف الوطني، أنشأت إدارة الآثار والمتاحف العديد من المتاحف الإقليمية، في كل من: الجوف، وتيماء، العلا، ونجران، وصبياء، والهفوف وانتهى إنشاؤها سنة ١٣٩٧هـ الموافق ١٩٧٧م. وتوجد دراسة لإقامة ستة متاحف إقليمية أخرى، في كل من: أبها، والباحة، وتبوك، والخرج، وشقراء، والمجمعة (الراشد ١٩٩٩: ٣٨)، وإلى جانب هذه المتاحف، أقامت جهات علمية أخرى متاحف للآثار بالمملكة، ومنها على سبيل المثال:

- متحف قسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود.
- متحف قسم الحضارة بجامعة أم القرى.
- متحف المسكوكات بمؤسسة النقد العربي السعودي.
- متحف مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.
- متحف كلية الملك عبدالعزيز الحربية.
- معرض شركة أرامكو.

يضاف إلى هذه المتاحف العديد من المتاحف الخاصة، التي تنتشر في جميع مدن المملكة. وإن كانت أغلب مقتنياتها من التراث الشعبي، إلا أنها تحتوي على العديد من المقتنيات الأثرية النادرة.

أ.د. عبد الرحمن الطيب الأنصاري - الرياض - المملكة العربية السعودية .

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

الأنصاري، عبد الرحمن الطيب ١٩٩٢، "قصة الآثار في جامعة الملك سعود ربع قرن من العمل الدؤوب" ، **دراسات في الآثار** - الكتاب الأول - قسم الآثار والمتاحف بكلية الآداب - جامعة الملك سعود، ص ص ١-٣٤، الرياض.

.....، ٢٠٠١، "قصة الآثار في المملكة العربية السعودية"، **حديث الدار**- العدد ١٠- ٢٠٠١م-ص ص ٢٠-٢٣ ، دار الآثار الإسلامية، الكويت.

الأنصاري، عبد الرحمن الطيب وآخرون ١٩٩٩، **المواصلات والاتصالات في المملكة العربية السعودية خلال مائة عام**، وزارة المواصلات - الرياض.

الأنصاري، عبد الرحمن الطيب؛ وأبو الحسن، حسين علي ٢٠٠٢، **العلا ومدائن صالح حضارة مدينتين**، دار القوافل، الرياض.

أويتنج، يوليوس، ١٩٩٩، **رحلة داخل الجزيرة العربية**، ترجمة سعيد فايز السعيد، دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

بدول، روبن، ١٩٨٩، **الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية**، ترجمة عبد الله أدم نصيف - جامعة الملك سعود - الرياض.

بلي، لويس، ١٩٩١، **رحلة إلى الرياض**، ترجمة عبد الرحمن عبد الله آل الشيخ، وعويضة حامد الجهني - عمادة شئون المكتبات - جامعة الملك سعود - الرياض.

البرخت، زيمة، ١٩٩٩، **شبه الجزيرة العربية في كتابات الرحالة الغربيين في مائة عام** (١٧٧٠-١٨٧٠م)، (مكتبة الملك عبد العزيز العامة - الرياض).

بوركهارت، جون لويس ١٩٩٢، **رحلات في شبه جزيرة العرب**، ترجمة عبد العزيز صالح الهلابي، وعبد الرحمن عبد الله الشيخ، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت.

بيرتون، ريتشارد ١٩٩٤، **رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز**، ترجمة عبد الرحمن عبد الله آل الشيخ، (**سلسلة الألف كتاب الثاني** - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة).

بيرين، جاكلين د. ت، **اكتشاف جزيرة العرب**، ترجمة قدري قلعجي، بيروت.

توتشل، كارل ١٩٥٠، "الريازة والآثار في المملكة العربية السعودية"، ترجمة السيد أحمد علي، **مجلة المنهل** - السنة الحادية عشر - الجزء الثالث - ربيع الأول ١٣٧٠هـ/ ديسمبر ١٩٥٠ - يناير ١٩٥١م ، ص ص ١١٩-١٢٥ .

أبو الحسن، حسين علي، ١٩٩٧، **قراءة لكتابات لحيانية من جبل عكمة بمنطقة العلا**، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض.

الراشد، سعد عبد العزيز، ١٩٩٩، "الآثار في المملكة العربية السعودية خلال مائة عام"، (**بحوث مؤتمر المملكة العربية السعودية في مائة عام** - المحور الثامن: التربية والتعليم - الرياض ٧-١١ شوال ١٤٠٩هـ/ ٢٤-٢٨ يناير١٩٩٩م) ص ص ١-٦١ .

صادق، محمد، ١٨٩٦، **دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج**، الطبعة الأولى بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المعزية.

ليبنز، فيليب، ١٩٩٩، **رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية**، ترجمة محمد محمد الحناس، دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

مصري، عبد الله حسن ١٩٨٧، **لمحة عن نشاط إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف**، ص ص ٣٦-٤٥ (مجلة المنهل - المجلد ٤٨ - العدد ٤٥٤، رمضان - شوال ١٤٠٧هـ/ مايو ١٩٨٧م).

المغنم، علي صالح ٢٠٠٢، المتحف الوطني ودوره في حماية وحفظ آثار وتراث المملكة، ص ص ١٨٣-٢١٧ (**ندوة الآثار في المملكة العربية السعودية حمايتها والمحافظة عليها** - الرياض ١٥-١٨ رجب ١٤٢٠هـ/ ٢٤-٢٧ أكتوبر ١٩٩٩م - الرياض ١٤٢٢هـ١٩٩٩/م).